مختصر خطبة صلاة الجمعة 2024/12/13 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(خطبة الفتح)

بعد فرحنا بفضل الله علينا وبما أولى الشام من فتح ونصر، علينا أن ندرك أن البلد تحتاج إلى أمور بها نحفظ هذا النصر ونحرسه.

فتحتاج البلد إلى رصّ الصفوف وتآلف القلوب ووحدة الكلمة وراء الإدارة الجديدة.

فلن يطمع الطامعون من الأعداء المتربصين أو من الظالمين الموتورين بمثل تفرق كلمتنا وتمزق صفوفنا، يثيرون النعرات، وينشرون الإشاعات، ويوغرون الصدور، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويضربون الناسَ بعضَهم ببعض.

فهذا موالٍ وهذا معادٍ، وهذا عميل وهذا مناصر، وهذا خائن وهذا أمين، وهذا عربي وهذا كردي، وهذا سني وهذا شيعي، وهذا علوي وهذا درزي، وهذا مسلم وهذا مسيحي.

ومن أجل هذا – والله أعلم– قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش بعد الفتح: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم»؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»!

وراح مع صحابته الكرام يُعَلِّمون الناسَ الإسلام ويدلونهم على أوامره ونواهيه بأقوالهم وأفعالهم فدخل يومها الناس في دين الله أفواجاً، وتماسك الصف وتوحدت الكلمة فكان فتحاً بعد النصر.

على أن المجرمين الآثمين المعتدين على الدماء والحرم لابد أن يحاسبوا ويعاقبوا يحاسبهم القانون لا الأفراد لكيلا تكون فتنة.

قال أهل السير: (استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العفو بضعة عشر رجلا أَمَرَ بقتلِهم وإن وُجِدُوا متعلقين بأستار الكعبة، لكثرة جرائمِهم، ولما كان يخشاه منهم من إثارة الفتنة بين الناس بعد الفتح) (السيرة النبوية لأبي شهبة).

ولقد رأينا أيها الإخوة والحمد لله من الإدارة الجديدة للبلاد ما يوافق تعاليم القرآن والسنة في توحيد الصف ورأب الصدع وجمع الكلمة، فتقرؤون على شاشة التلفاز السوري تعليماتِ هذه الإدارة:

– أكدنا التزامنا بالتسامح مع مَن لم تتلطخ أيديهم بدماء الشعب السوري.

– لن نتوانى عن محاسبة المجرمين المتورطين في تعذيب الشعب السوري.

– ندعو المواطنين إلى عدم الاعتداء على الأشخاص والممتلكات تحت طائلة المحاسبة.

– أي تصرف فردي لا يتوافق مع هذه التعليمات لا يمثلنا وسنواجهه بكل حزم وصرامة ويُعرض صاحبه للمحاسبة.

يقضي الفرحُ بنصر الله والشكرُ له، ويقضي الحبُ للشام والفخرُ بها، ألا تنتشر في الشام الفوضى، وألا يشيع بها قتل ولا سرقة.

فالمؤسسات العامة ملك للجميع لا يجوز الاعتداء عليها بسرقة أو تحطيم. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 161] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَتَمَ غَالًّا فَإِنَّهُ مِثْلُهُ» [أبو داود].

ومن أخذ من المال العام شيئاً فهو مدعو لإعادته تبرئة لذمته وتوبة لربه، وكذلك لا يحل الاعتداء على دماء الناس وأرواحهم وأموالهم، خاصة وقد سمعنا بإصابات إخوة مواطنين بالعيارات النارية في المشافي، سلّم الله الجميع.

فالسكينةَ السكينة أيها الناس! والأناةَ الأناة أيها الشباب! والرعايةَ الرعاية أيها الكبار للنشيء الحبيب!

والحمد لله رب العالمين